ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

علاقة أدب الرحلة بالفضاءات المكانية والزمانية لدى أحمد بن فضلان وابن بطوطة

د . فاطمة عبد السلام أحمد خليفة*
قسم معلم فصل بكلية الآداب والتربية صبراتة ،جامعة صبراتة ، ليبيا
E:Fatimah.khalleefah@sabu.edu.ly
تاريخ الارسال 2026/2/28م تاريخ القبول 2026/3/32م

The Relationship Between Travel Literature and Spatial and Temporal Dimensions in the Works of Ahmad ibn Fadlan and Ibn Battuta

A. M. Fatima Abdulsalam Ahmed Khalifa
Assistant in the Classroom Teacher Department, Faculty of Arts and Education, Sabratha – Sabratha University, Libya
E:Fatimah.khalleefah@sabu.edu.ly

Abstract
This study explores the relationship between travel literature and spatial and temporal dimensions through selected examples from the travel accounts of Ahmad Ibn Fadlan and Ibn Battuta, within a modern narratological framework. It is based on the premise that space in travel narratives is not merely a geographical setting, but a semantic structure in which places interact with characters and events, contributing to the production of meaning within the text. The analysis shows that spatial representation in Ibn Fadlan's account is characterized by documentary precision, detailed descriptions, and an objective approach aimed at portraying the societies he encountered. In contrast, spatial representation in Ibn Battuta's narrative takes on a more aesthetic and experiential dimension, where description is intertwined with personal impressions and emotions, transforming space into a lived human experience, regarding temporal structure, the study demonstrates that time in travel literature is not strictly linear but rather a complex interplay of real time, narrative time, and psychological time Narrative techniques such as flashbacks, foreshadowing, and summarization are employed to organize and reconstruct events. Ibn Fadlan's temporal structure tends to be linear and historically precise, whereas Ibn Battuta's

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

narrative time is more fluid and non-linear, reflecting reliance on memory and the multiplicity of experiences, in conclusion, travel literature emerges as a complex narrative discourse in which spatial and temporal dimensions interact with the traveller's subjective experience. Space, in its physical, temporal, and symbolic forms, plays a central role in understanding and analysing travel narratives.
Keywords: Travel literature, spatial dimension, temporal dimension, Ibn Fadlan, Ibn Battuta, narrative, narrative time.

الملخص :

يتناول هذا البحث العلاقة بين أدب الرحلة والفضاءين المكاني والزماني من خلال دراسة نماذج مختارة من رحلتي أحمد بن فضلان وابن بطوطة، وذلك في إطار مقاربة نقدية حديثة تستند إلى مفاهيم السرديات. ينطلق البحث من فرضية أن الفضاء في النص الرحلي لا يُختزل في كونه إطارًا جغرافيًا، بل يُعد بنية دلالية تتداخل فيها الأمكنة مع الشخصيات والأحداث، بما يسهم في إنتاج المعنى داخل النص، ويُظهر التحليل أن الفضاء المكاني عند ابن فضلان يتسم بالطابع التوثيقي القائم على الدقة في الوصف وتسجيل التفاصيل الجغرافية والاجتماعية، مما يعكس نزعة علمية واقعية تهدف إلى نقل صورة موضوعية عن المجتمعات التي زارها. في المقابل، يتخذ الفضاء عند ابن بطوطة بعدًا جماليًا وتجريبيًا، حيث يمتزج الوصف بالمشاعر والانطباعات الذاتية، مما يحول المكان إلى تجربة إنسانية حية.

أما على المستوى الزماني، فيتضح أن الزمن في أدب الرحلة لا يسير وفق خطية بسيطة، بل يتشكل من تداخل بين الزمن الواقعي والزمن النفسي وزمن السرد، مع توظيف تقنيات مثل الاسترجاع والاستشراف والتلخيص لتنظيم الأحداث وإعادة بنائها. ويُلاحظ أن الزمن عند ابن فضلان يميل إلى التنظيم الخطي والدقة التاريخية، بينما يتسم عند ابن بطوطة بالمرونة والتداخل، بفعل الاعتماد على الذاكرة وتعدد التجارب، ويخلص البحث إلى أن أدب الرحلة يمثل خطابًا سرديًا مركبًا تتفاعل فيه الأبعاد المكانية والزمانية مع التجربة الذاتية للرحالة، وأن الفضاء بمستوياته المختلفة يشكل عنصرًا أساسيًا في تحليل هذا النوع الأدبي وفهم دلالاته.

الكلمات المفتاحية :أدب الرحلة، الفضاء المكاني، الفضاء الزماني، ابن فضلان، ابن بطوطة، السرد، الزمن الروائي.

المقدمة :

لا خلاف على ارتباط الأدب والفضاء بعلاقتين: الأولى تكوينية قائمة في تكوين النص الأدبي، والثانية مضمونيه قائمة في موضوعه. (زيتوني، لطيف، د.ت، ص. 127) ؛ ولكن الخلاف حول حدود هذا الفضاء وما يضم من مكونات سردية، لأن الفضاء هو أكبر من مكان، هو كل الأمكنة الأدبية التي ترد في الرحلة ومن الصعب بل من المستحيل الإحاطة بالأمكنة في الرحلة، فهي امتداد الأحداث من بداية الرحلة الأولى وصولا إلى الحدث الأخير، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظوارت الشَّخصيات. حتى إن القاص الذي يقصر حدثه على مكان واحد مغلق لابد من أن يخلق في ذهن القارئ امتدادات مكانية أخرى، ومن ثم يصعب القول إن الفضاء الروائي يتشكل من مكان واحد وإن بدا ظاهره مغلقاً عليه وحده. (الفيصل، سمر روحي، 1996، ص. غير محدد)

وقد "اختلف الدارسون في معالجتهم للفضاء، اختلافهم في تحليل ودارسة الزمان، وإذا كانت الدارسات اللسانية قد حققت أرضية لتطور دارسة زمان الحكي، فإن الفضاء ظل مجالا مفتوحا للاجتهاد والتصوارت المتعددة التي لم تصل إلى حد بلورة نظرية عامة للفضاء، ظلت وجهات نظر الباحثين تتأسس وفق قاعدة ما تقدمه أعمال محددة ولم يصل الأمر إلى إقامة تصوارت لها حد من الشمولية والعمومية رغم محاولات يوري لوتمان الهامة التي نوه بها كل المشتغلين بالفضاء (يقطين، سعيد، د.ت، ص. 732–832) وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين، عبر رسم صور دنيا لهم، بواسطة مخيلة جائعة إلى السحري والأيروسي والعجائبي، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم، كما سيتضح من خلال نصوص هذه السلسة ركز أساسا على تتبع ملامح النهضة العلمية والصناعية وتطور العمران، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق لقد انصرف الرحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات مدفوعين غالبا بشغف البحث عن الجديد وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط من باب الفضول المعرفي وإنما أساسا من باب طلب العلم، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشلل الحضاري التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها.

وقال الرحالة ابن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور ما نصه (ابن بطوطة، د.ت، ص. 238): وله المكارم الشهيرة، وليس بأرض الشام والعراق، وهذا ما يدل على نقل ابن بطوطة لتلك الحياة من خلال

فضاءات متنوعة، حيث تثبت مثل هذه المقاطع أن نصوص الرحالين مختلفة عن نصوص الجغرافيين لا في مستوى المادة وزوايا النظر فحسب، بل في مستوى صياغتها. فالجغرافي يستعرض الظواهر في صيغ إخبارية تقريرية دقيقة تثبت الجزئيات وتؤكد التفاصيل بينما يعمل الرحالة على استحضار المواقف الحية والأحاديث الثنائية فلا يتردد في استخدام صيغ تعبيرية مثل الحوار الذي يمتزج فيه القص بالإخبار، والأدب والتاريخ. (دبيش، لطفي، د.ت، ص. 297–298)، والأهم والذي نريده من مصطلح الفضاء بين الرحلتين، هو تلك العلاقة الجدلية التي تنشأ مع المكونات السردية ومن بينها الشخصية الروائية، ذلك فإن مفهوم مصطلح (الفضاء الروائي) يتسع ليشمل العلاقات المكانية أو العلاقات بين الأمكنة والشَّخصيات والحوادث، ويعلو فوقها كلها ليصبح نوعا من الإيقاع المنظم لها، فخروج هذه البعثة من بغداد يوم الخميس إحدى عشر من شهر صفر/ واحد وعشرين حزيران سنة 309 ه/ 921 م ووصلت إلى بلغار في ثمانية عشر محرم/ أثنا عشر أيار سنة 310 ه/922 (ابن فضلان، د.ت، ص. 67–68، 82). وتحديد نقطة زمنية دقيقة للرحلة قد تؤخذ بعين الاعتبار، لكن التحديد للفضاء المكاني في مثل هذه الرحلات يصعب تحديده، كما ارتأت الباحثة نتيجة لتشظي الفضاء المكاني أو تغير التوجه حسب ما تملي الأحداث المساحة الأدبية.

ويُعدّ أدب الرحلة من الأجناس السردية المركبة التي تحتل موقعًا وسيطًا بين الخطاب التاريخي والخطاب الأدبي، إذ يجمع بين التوثيق والوصف، وبين التجربة الذاتية والبناء الفني، مما يجعله مجالًا غنيًا للتحليل النقدي الحديث. ولا تكمن أهمية هذا الفن في كونه سجلًا جغرافيًا أو وثيقة حضارية فحسب، بل في كونه بنية سردية تتفاعل فيها عناصر الزمان والمكان والشخصية ضمن نظام دلالي متكامل، يعبّر عن رؤية الرحالة للعالم وللآخر (يقطين، 1997؛ بحراوي، 1990).

وقد شهدت الدراسات النقدية الحديثة تحولًا نوعيًا في النظر إلى مفهومي الزمان والمكان، حيث لم يعودا مجرد إطارين خارجيين للأحداث، بل أصبحا عنصرين بنيويين يسهمان في إنتاج المعنى داخل النص السردي. ويُعدّ مفهوم "الفضاء" من أبرز المفاهيم التي أعادت صياغة العلاقة بين النص والعالم، إذ لم يعد يُنظر إليه بوصفه مكانًا هندسيًا، بل باعتباره شبكة من العلاقات التي تربط بين الأمكنة والأحداث والشخصيات (زيتوني، 2002، ص 127).

وفي هذا السياق، أسهمت أعمال ميخائيل باختين في تطوير مفهوم "الكرونوطوب"، الذي يؤكد الترابط العضوي بين الزمان والمكان في النص السردي، حيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر في إنتاج الدلالة. وقد أتاح هذا المفهوم إمكانات تحليلية واسعة لفهم النصوص الرحلية، بوصفها نصوصًا تقوم على الحركة والانتقال والتجربة المباشرة، مما يجعلها مجالًا مثاليًا لتجسيد هذا التداخل (يقطين، 1997).

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد اتجه – في كثير من نماذجه – إلى بناء صور نمطية عن الشرق، فإن أدب الرحلة العربي قد انشغل في المقابل برصد مظاهر الحضارة والعمران، واستكشاف الآخر من منظور معرفي وثقافي، كما يظهر في رحلتي أحمد بن فضلان وابن بطوطة، اللتين تمثلان نموذجين بارزين في هذا المجال، وتنبع أهمية دراسة هاتين الرحلتين من كونهما لا تقدمان مجرد وصف للأمكنة، بل تبنيان فضاءات سردية تتداخل فيها الأبعاد المكانية والزمانية مع التجربة النفسية للرحالة، مما يجعل الفضاء عنصرًا فاعلًا في تشكيل النص، وليس مجرد خلفية له. ومن هنا، يسعى هذا البحث إلى تحليل العلاقة بين أدب الرحلة والفضاءين المكاني والزماني، من خلال مقاربة نقدية حديثة تستند إلى مفاهيم السرديات والبنيوية.

المطلب الأول ـ الفضاء المكاني ووظيفته السردية في أدب الرحلة:

يمثل الفضاء المكاني في أدب الرحلة بنية دلالية معقدة، تتجاوز حدود التحديد الجغرافي لتصبح عنصرًا فاعلًا في تشكيل المعنى السردي. فالمكان في هذا السياق ليس مجرد وعاء للأحداث، بل هو مكوّن بنيوي يتفاعل مع الشخصية والحدث، ويؤثر في تطور السرد واتجاهه (الحمداني، 1991).

1. الفضاء بوصفه نظامًا علائقيًا:

يرى النقاد أن الفضاء الروائي يتشكل من شبكة من العلاقات بين:

1- الأمكنة المختلفة

2- الشخصيات

3- الأحداث

وهذا ما يجعل الفضاء أكبر من مجرد "مكان"، إذ يتحول إلى منظومة ديناميكية تُنظم إيقاع السرد (زيتوني، 2002).

2. الفضاء الواقعي عند ابن فضلان:

يتسم الفضاء في رحلة أحمد بن فضلان بالطابع التوثيقي، حيث يعتمد على:

1- التحديد الدقيق للمسارات

2- وصف الظواهر الطبيعية
3- تسجيل العادات والتقاليد
غير أن هذا الطابع الواقعي لا يلغي البعد النفسي، بل يتكامل معه، كما في وصفه للبرد القارس وتجمد الأنهار، الذي يعكس إحساسًا داخليًا بالمعاناة (ابن فضلان، 1959).
وهنا يتحول المكان إلى:
1- وسيط معرفي
2- ومرآة للواقع الحضاري
3- وأداة لكشف الاختلاف الثقافي

3. الفضاء الجمالي عند ابن بطوطة:

أما عند ابن بطوطة، فإن الفضاء يتخذ طابعًا أكثر تعقيدًا، حيث:
1- يمتزج الوصف الهندسي بالانفعال النفسي
2- يتحول المكان إلى تجربة شعورية
3- يُعاد تشكيله عبر اللغة
ففي وصفه لمنار الإسكندرية، لا يكتفي بتحديد الأبعاد، بل ينقل إحساسه بالمهابة والدهشة، مما يجعل المكان حاملاً لدلالات نفسية (ابن بطوطة، د.ت).

4. العلاقة بين المكان والشخصية:

تُظهر الرحلتان أن العلاقة بين المكان والشخصية علاقة جدلية:
1- المكان يؤثر في الشخصية
2- والشخصية تعيد تشكيل المكان
وقد ذهب ياسين النصير إلى اعتبار المكان "شخصية متماسكة" داخل النص (النصير، 1980)، بينما ترى سيزا قاسم أن المكان يعكس طبيعة الشخصية (قاسم، 1984).

5. الفضاء الذهني والرمزي:

لا يقتصر الفضاء على بعده الحسي، بل يتجاوز إلى:
1- الفضاء الذهني (في تصور القارئ)
2- الفضاء الرمزي (الديني والثقافي)
كما في وصف الأماكن المقدسة، التي تتحول إلى رموز ذات دلالات روحية (دبيش، 2000).

المطلب الثاني ـ علاقة أدب الرحلة بالفضاء الزماني، لدى الرحالة ابن فضلان وابن بطوطة ودورهما في ذلك:

حاول أنصار النقد الحديث نقل الحدث إلى داخل الشَّخصيات الروائية، عبر ما يمكن تسمية الزمن النفسي (بالزمن الإنساني)، ويتم تحديده عن طريق بحث العلاقات الرابطة بين الأحداث والشَّخصيات، ويسمى أيضا الزمن الداخلي أو الشَّخصي أو الذاتي. وهذا الزمن يرتبط بالشَّخصيات ارتباطا وثيقا، ويدخل في نسيج حياتها الداخلية، لهذا نقول عن زمن الشخصية إنه زمن نفسي ذاتي يخضع لحركة اللاشعور ومعطيات الحالة النفسية.

أما بالنسبة لتقنيات الزمن الروائي أو مصطلحاته، أو حركاته السردية، فهي على أش د الارتباط بأدب الرحلة كونها تبدأ من الزمن وتنقل الأحداث عبر الزمن، ولا سبيل هنا للكلام الموسع حول تلك التقنيات الزمنية الحديثة، ومنها تلك التي اقترحها جنيت، مثل "الخلاصة والاستراحة، لذلك نكتفي بإظهار العلاقة مع الشخصية لك لمصطلح، والتركيز على الأهم منها، فالزمن في الرحلة ليس زمنا حقيقيا ، إنما هو زمن تكثيف وقفز وحذف، وتقنيات يستخدمها صاحب الرحلة لتجاوز التسلسل المنطقي، وهو الانتقال من الماضي إلى الحاضر مع التوقع للمستقبل، فإذا عاد الروائي من الحاضر إلى الماضي، وكسر سير الأحداث، يكون هنا مصطلح الاسترجاع وهو تقنية تعني سرد حوادث أو وقعت في الماضي،القصراوي، مها حسن (2004) فالحاكي أو الراوي في الرحلة هو المؤلف نفسه، "وهو الذات المركزية التي تقوم بفعل الرحلة، وتقوم بتلفيظ تلك الرحلة، وهذه الذات في انتقالها عبر الأماكن المزورة، لا تنفصل عن ثقافتها ومعتقداتها ورؤيتها للعالم، وشأن الرحالة شأن المساح الذي قال عنه الباحث عبد الفتاح كيليطو:"إن المساح ليس مسافرا بدون أحمال، فهو يحمل أدوات لازمة تنظم عمله، والفضاء الذي يخترقه ليس مرئيا إلا عبر عيون شبكة ثقافية تحصره حصرا وثيقا". (كيليطو، عبد الفتاح 1993)

قال ابن بطوطة في رحلته: "سافرنا من البصرة فوصلنا إلى مشهد علي ابن ابي طالب رَضي الله عَنه وزرنا، ثم توجهنا إلى الكوفة فزرنا مسجدها المبارك ثم إلى الحلة حيث مشهد صاحب الزمان واتفق في بعض الأيام أن وليها بعض الأمراء فمنع أهلها من التوجه على عادتهم الى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هنالك ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها كل ليلة من الأمير فأصابت ذلك الوالي علة مات منها سريع فزاد ذلك

في فتنة الرافضة وقالوا انما أصابه ذلك لأجل منعه الابة فلم تمنع بعد" الحلي. (أحمد علي مجيد د.ت).

إذن نجد الفضاء الزمني بأنه هو استذكار لحوادث، فما علاقته بالشخصية؟ لا صعوبة في الر د هنا فالعلاقة بينهما تتضح في النصوص الروائية، فالاسترجاع يملأ الفجوات التي يخلقها الحاضر الروائي وراءه حين يقدم معلومات عن ماضي الشَّخصيات أو يستدرك حوادث ماضية، وللاسترجاع مجموعة من الوظائف يهمنا منها: "تقديم شخصية جديدة ظهرت في المقاطع السردية أو شخصية اختفت وعادت للظهور، ولا تقتصر وظيفته على الماضي، فله "تنوير اللحظة الحاضرة في حياة الشخصية وفعلها، وعلى النقيض من الاسترجاع يأتي الاستشراف"، وهو تقنية زمنية تخبر صراحة أو ضمنا عن أحداث أو أقوال أو أعمال سيشهدها السرد الروائي.

وتتضمن الرحلة معلومات نادرة عن كيفية الاحتفال بالأعياد على المستويين الشعبي والرسمي في كل من بلاد الروم، وشبه جزيرة القرم والهند، إلا أنه أطنب في وصف احتفالات الهند، ربما لطول إقامته في هذا البلد فاحتفال سلطان الهند والسند في دلهي بالعيدين يتم في ترتيب عجيب، وتنسيق محكم، ينمان عن أبهة الملك ورخائه، كما يبدو من استقبال كبار رجال الدولة والمدعوين، وتقديم

الطعام حسب مراتب الحاضرين وتنصيب المبخرة العظمى كالبرج لإيقاد العود القماري والقاقلي، والعنبر، والجاوي، وإحضار الفتيان وبأيديهم براميل فضية وذهبية لصب الورد والزهر على الحاضرين، والموسيقى تصدح في فضاء الحفل، وبنات الملوك الكفار يغنين ويرقصن، يستمر الاحتفال على هذا المنوال سبعة أيام يختص الأولاد منها بالغناء والرقص والثالث لتزويج الأقارب، والرابع لعتق العبيد، والخامس لعتق الجواري، والسادس لتزويج العبيد بالجواري والسابع للهدايا والصدقات. الحلي، أحمد علي مجيد. (د.ت)

ويقود التتابع للفضاء الزمني إلى "حمل القارئ على توقع حادث ما، أو التكهن بمستقبل إحدى الشَّخصيات"، ومن مصطلحات الزمن تلك المتعلقة بالسرد من حيث التسريع والإبطاء للحركة السردية، مثل "الثغرة، والوقفة، والمشهد، والتلخيص"، ولهذه المصطلحات ارتباطات تجمعها بالشَّخصية، وإن تف ردت تلك العلاقة بنسب متفاوتة. فالتلخيص يتميز بوظائف متعددة يهمنا منها ما أحصتها تقديم عام للشخصية جديدة وعرض الشَّخصيات الثانوية التي لا يتسع الن ص لمعالجتها معالجة تفصيلية.

وإذا أمعنا النظر فيما ذهب إليه النقاد من آراء وتقسيمات، ومصطلحات للزمن الروائي لا نجد ريبا فيما قاله د.عبد الملك مرتاض: "إن كل ما يزعمه الروائيون، ومن ورائهم النقاد في الكشف عن الزمن عبر الخطاب الروائي، وتحديد مساره، واختيار مظهر من مظاهره يعد شيئا تقريبيا لا يرقى إلى التماس الدقة" (مرتاض، 1998، ص 179) فالفضاء الزمني في رحلات سفارية موجودة قديما، رحلات خارجية، بمجيء الإسلام وضع لها ضوابط نقلها من الغرض المعيشي الدنيوي إلى غرض ديني يهدف إلى التوسط في فض النزاعات وتبليغ العقيدة، التشاور في المسائل المهمة، ولعل من أهم أعلامها ابن فضلان، في رحلته التي قام بها بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر (توفي في 320 ه) في مهمة رسمية إلى ملك الصقالبة وتسليمه الهدايا للفقهاء والمعلمين، وهي ذات بعد تعليمي، الهدف منها "تعليم الناس والأقوام الذين ذهب إليهم لتبليغ تعاليم الإسلام. (هالبرين، د.ت، ص 65)، وهذا ما يساعد في تحديد الخطاب لا الزمني، فالمطالبة بالتفريق بين "التوقيت الزمني في الحكاية" و"التوقيت الزمني في القراءة" (الساوري،2007،ص 99) . يقود القارئ لمطابقة زمن الحكاية مع الزمن الخارجي، وضرورة وجود تباعد معقول بين زمن حدوث القصة وزمن سردها أمر يضع الروائي في مناطق زمكانية قد لا تسعفه في الإبداع والخلق الفني، ولا أظن أنه من المفروض على القارئ دائم ا أن يعتبر زمن الحكاية من الماضي، لأن الزمن الروائي يظل عديم الاكتمال لأنه يملك إمكانية الانفتاح على المستقبل في آية لحظة والحق أن الزمن الحاضر لا يستحيل إلى ماضي إلا حين يذوب في ماضي الحكاية، فيغتدي ماضيا بالقياس إلى حاضر المؤلف الذي يستحيل إلى مستقبل بالقياس إلى زمن الرواية المكتوبة.

ويمكن أن نؤكد القول في مصطلح الزمن بتقسيمه إلى: زمن الشَّخصية وزمن الحكاية، وزمن الكاتب، وزمن القارئ مع الاحتفاظ لتداخل هذه الأزمنة في عملية التخييل لأن الزمن هو العنصر الأساسي لوجود العالم التخيلي نفسه، حيث تقع أهم ية رحلة ابن فضلان في أنها تزود التاريخ العالمي بشذا رتمهمة عن أنماط معيشة شعوب ق لما سجلت إ نها تس د ثغرة تاريخية في هذا المجال وتعتبرا رئدا في الإشارة لتاريخ الشعوب الصربية، والروس منهم على وجه الخصوص، لقد قيل الكثير عن هذه الرحلة وترجمت أكثر من مرة لجميع اللغات الأساس ية اليوم في العالم، ونود هنا أن نشير إلى علاقة العرب بالآخر فلا تبدو علاقة العالم العرب ي، أو أق لها ثقافة الناطقين باللغة العربية

من عرب وغير عرب م من كانوا يستخدمون العربية في حضارة كانت هذه اللغة بها شيئا ساميا وضروريا ، بمثل استلابها هذا اليوم مع الآخر، وهو ما تبرهنه رحلة ابن فضلان. لم يكن الاختلاف البديه ي بين الأنا والآخر ليتصاعد إلى المستوى الموصوف في كتابات البعض من الباحثين العرب المعاصرين م من يصفون العلاقة مع الحضارات الأخرى بمنطق الحذر وال ريبة، بلى إن ثنائية نهائية ومطلقة بين (دار الإسلام) و(دار الكفر).

وكما تأثرت الحكاية بالمراحل الزمنية التي مرت بها، فإن "الزمن حديث ا تعقد وتشابكت عناصره بتعقد وتشابك الحياة المعاصرة و"أن نسبة الخيال في كتب الرحلة قليلة؛ حيث إنه يرصد مختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه، في مرحلة تاريخية محددة، فأي تعديل أو تغيير أو وصف لأشياء بما ليس فيها قد يبعد الكاتب عن الحقيقة، ويدفع إلى اتهامه بالكذب والتزييف" (ضيف، 1987، ص 6–8)، ويبقى الهدف الرئيس من كل ما سبق ذكره تأكيد العلاقة بين الرحلة والزمن الحاضر بوعي أصحاب الرحلة به، ووعي الناقل وذاكرته "إذ لا يمكن أن تكتب الرحلة إلا من مخزون الأحداث المسجلة في الذاكرة، لتنقل إلى ذاكرة القارئ فيعيد ترتيب الزمن في ذاك راته أيضا، فالذاكرة هي جوهر وجودنا، إنها امتداد للماضي في الحاضر وصيرورتهما معا شيئا واحدا في الفضاءات التخيلية هي الفضاءات التي يصعب الذهاب إلى تأكيد مرجعية محددة لها سواء من حيث الاسم الذي تتميز به أو الصفة التي تُنعت بها، وقد تكون أقرب إلى الفضاءات المرجعية غير أنها غير قابلة لأن تحدد مرجعيا، وقد يلجأ الراوي إلى اختلاقها لضرورة حكائية معينة ومن الأمثلة التي يمكن ضربها في هذا المجال جبل قاف "الذي وصفه المفسرون بأنه جبل محيط بالدنيا وهو من زبرجدة خضراء منه خضرة السماوات وواره عالم وخلائق لا يعلمهم إلا الله تعالى". (القزويني، د.ت، ص 15)

فلا غرابة إذن بأنه ليس ثمة شيء أكثر صعوبة يجب تأمينه في الرحلة من عرض الزمن، وبهذا القول نركن إلى وصف علاقة الشخصية مع الزمن بعلاقة جدلية يتأثر كل منهما بوجود الأخر ويؤثر الزمن في بقية العناصر السردية التي تشكل الرحلة، لأن المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشَّخصيات بعضها عن البعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل القارئ وعالم الرحلة لها دور أساسي في تشكيل البعد الزمني للرحلة، يُعد الزمن عنصرًا أساسيًا في بنية أدب الرحلة، إذ يشكل الإطار الذي تنتظم فيه الأحداث، ويكشف عن تطور التجربة الإنسانية للرحالة. غير أن الزمن

هنا لا يُختزل في بعده الكرونولوجي، بل يتخذ أشكالًا متعددة تتداخل فيها الأبعاد النفسية والسردية.

1. تعددية الزمن في النص الرحلي:

يمكن التمييز بين:

1- الزمن الواقعي (زمن الرحلة)

2- الزمن السردي (زمن الحكي)

3- الزمن النفسي (زمن الشعور)

وهذه الأزمنة تتداخل لتشكل بنية زمنية مركبة (مرتاض، 1998).

2. الزمن التوثيقي عند ابن فضلان:

يتسم الزمن عند أحمد بن فضلان بالدقة، حيث:

1- يحدد التواريخ بدقة

2- يربط الزمن بالحركة (سفر/إقامة)

3- ينظم السرد بشكل خطي

لكن هذا الزمن يتخلله بعد نفسي يظهر في وصف المشاعر المرتبطة بالأحداث (ابن فضلان، 1959).

3. الزمن السردي عند ابن بطوطة:

أما عند ابن بطوطة، فإن الزمن:

1- غير خطي

2- يعتمد على الذاكرة

3- يتداخل فيه الماضي والحاضر

مما يجعله زمنًا تخييليًا يعكس تجربة الرحالة (يقطين، 1997).

4. تقنيات الزمن السردي:

يوظف الرحالة تقنيات متعددة، منها:

1- **الاسترجاع** :استحضار أحداث ماضية

2- **الاستشراف** :التنبؤ بأحداث لاحقة

3- **التلخيص** :تسريع السرد

4- **المشهد** :إبطاء السرد

وهي تقنيات تسهم في تنظيم الإيقاع السردي (الحمداني، 1991).

5. الزمن النفسي وعلاقته بالشخصية:

يرتبط الزمن بالشخصية ارتباطًا وثيقًا، حيث:
1- يتغير تبعًا للحالة الشعورية
2- يعكس التجربة الداخلية
وقد أكدت سيزا قاسم أن الزمن النفسي عنصر أساسي في فهم الشخصية (قاسم، 1984).

6. الزمن والذاكرة

تعتمد الرحلة على الذاكرة في إعادة بناء الأحداث، مما يجعل الزمن:
1- زمنًا معاد تشكيله
2- وليس مجرد تسجيل مباشر
كما أشار عبد الفتاح كيليطو إلى أن الرحالة لا يرى العالم إلا من خلال شبكة ثقافية تحكم إدراكه.
(كيليطو، 2001).

الخاتمة :

تشكل دراسة أدب الرحلة من منظور الفضاءين المكاني والزماني مدخلًا تحليليًا مهمًا لفهم البنية السردية لهذا الجنس الأدبي، لما يتميز به من تداخل بين التوثيق التاريخي والبناء الفني، وبين التجربة الذاتية والمعرفة الموضوعية. وقد أظهرت هذه الدراسة، من خلال تحليل رحلتي أحمد بن فضلان وابن بطوطة، أن الفضاء في أدب الرحلة يتجاوز كونه إطارًا خارجيًا للأحداث، ليصبح عنصرًا بنيويًا فاعلًا يسهم في تشكيل المعنى وإنتاج الدلالة داخل النص، فمن جهة الفضاء المكاني، تبين أن الرحلة عند أحمد بن فضلان تميل إلى الطابع التوثيقي القائم على الدقة والوصف التفصيلي للأماكن والظواهر والعادات، وهو ما يعكس نزعة معرفية تهدف إلى نقل الواقع كما هو، وتقديم صورة شبه موضوعية عن المجتمعات التي تمت زيارتها. في المقابل، يتخذ الفضاء عند ابن بطوطة طابعًا أكثر انفتاحًا وذاتية، حيث يمتزج الوصف بالمشاعر والانطباعات الشخصية، مما يحول المكان إلى تجربة معيشة تتفاعل فيها الحواس والذاكرة واللغة، ويصبح الفضاء بذلك فضاءً جماليًا يعكس رؤية الرحالة للعالم لا مجرد نقله له، أما الفضاء الزماني، فقد اتضح أنه لا يُبنى على التسلسل الخطي فحسب، بل يقوم على تداخل مستويات متعددة من الزمن، تشمل الزمن الواقعي المرتبط بتواريخ الرحلة، والزمن السردي الذي يتحكم في عرض الأحداث، والزمن النفسي المرتبط بتجربة الرحالة الداخلية. وقد اعتمد الرحالتان على تقنيات سردية

متنوعة مثل الاسترجاع والاستشراف والتلخيص، بما يسمح بإعادة تنظيم الزمن وتكثيفه أو توسيعه وفق مقتضيات السرد. ويبرز الاختلاف بين الرحالتين في كون الزمن عند ابن فضلان أقرب إلى الدقة التاريخية والتنظيم الخطي، بينما يتسم عند ابن بطوطة بالمرونة والتداخل، نتيجة الاعتماد على الذاكرة وتعدد المحطات والتجارب.

وعليه، يمكن القول إن أدب الرحلة يمثل بنية سردية مركبة تتفاعل فيها عناصر الزمان والمكان مع الشخصية والحدث ضمن منظومة دلالية متكاملة، حيث لا يؤدي الفضاء دور الخلفية فحسب، بل يسهم في توجيه السرد وتشكيل الرؤية. كما أن دراسة الفضاء في هذا السياق تكشف عن البعد الثقافي والحضاري للنصوص الرحلية، بوصفها وثائق معرفية وأدبية تعكس صورة الآخر، وتبرز في الوقت نفسه تصور الرحالة لذاته ولمجتمعه، وفي ضوء ذلك، تتأكد أهمية اعتماد مقاربات نقدية حديثة في تحليل أدب الرحلة، خاصة تلك التي تستند إلى مفاهيم السرديات والبنيوية، لما توفره من أدوات منهجية قادرة على تفكيك البنية النصية واستجلاء آليات اشتغال الفضاءين المكاني والزماني داخل النص الرحلي، بما يسهم في إعادة قراءة هذا التراث الأدبي قراءة علمية معاصرة تبرز قيمته الفنية والمعرفية.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

المراجع:

1- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. (د.ت) .تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
2- ابن فضلان، أحمد بن العباس .(1959) .رسالة ابن فضلان .تحقيق سامي الدهان .
3- ابن فضلان، أحمد بن العباس .(2000) .رحلة ابن فضلان .دار السويدي .
4- بحراوي، حسن .(1990) .بنية الشكل الروائي .
5- الباردي، محمد .(2000) .إنشائية الخطاب في الرواية العربية .
6- دبيش، لطفي .(2000) .الإنسان والمكان في الثقافة العربية .
7- عزام، محمد .(2000) .تحليل الخطاب السردي .
8- الحمداني، حميد .(1991) .بنية النص السردي .
9- الفيصل، سمر روحي. (1996). المكان في الرواية السورية .
10- قاسم، سيزا .(1984) .بناء الرواية .

11- النصير، ياسين .(1980) .الرواية والمكان .
12- مرتاض، عبد الملك .(1998) .في نظرية الرواية .
13- يقطين، سعيد .(2012) .قال الراوي .
14- زيتوني، لطيف .(2002) .معجم مصطلحات نقد الرواية .
15- ياقوت الحموي .(1995) .معجم البلدان .
16- الجرجاني، عبد القاهر .(2007) .دلائل الإعجاز .
17- ويليك، رينيه، ووارين، أوستن .(1987) نظرية الأدب .
18- حميدة، عبد الرحمن. (د.ت.) .أعلام الجغرافيين العرب.
19- مال الله، علي محسن. (د.ت.) .أدب الرحلة عند العرب في المشرق.
20- حسن، زكي محمد. (د.ت.) .الرحالة المسلمون في العصور الوسطى.
21- رمضان أحمد، أحمد. (د.ت.) .الرحلة والرحالة المسلمون.